[فصل: وفيها توفي

يحيى بن أبي الفَتْح[١]

ابن الطبَّاخ، الحرَّاني الضَّرير.

شيخنا، قدم بغداد، وأقام بها مدة يتفقه على مذهب أحمد ابن حنبل، وسمع الحديث، وقرأ النحو على أبي البقاء العكبري وغيره، وعاد إلى حران، فأقام بها إلى أن توفي، وكان قد ابتلي في آخر عمره، فوقعت الأكلة في فِيْه.

سمع شُهْدة، وعبد الحق ابن يوسف، وابن الخشَّاب وغيرهم، وكان صالحاً، فقيراً، صبوراً على قضاء الله تعالى، ديِّناً، اجتزت بحران سنة ثلاث وست مئة، فسمعت عليه الحديث][٢].

السنة الثامنة وست مئة

فيها عاد نجاح الشَّرابي والقُمِّي من ششتر إلى بغداد، وبين أيديهما سنجر مملوك الخليفة الذي عصى عليه، راكباً على بغل ببرذعة، وفي رِجْله سِلْسِلَةٌ، وحُبِسَ، وجَمَع القُمي القضاةَ والفقهاءَ والأعيان، وأخرج كتبه إلى المخالفين للدَّوْلة وإلى نوابه يقول: من لقيتم من عسكر الخليفة [فاقتلوه][٢] ـ وقرأها على الجماعة ـ فأفتَوْا بإراقة دمه، وأيس سنجر [والنَّاس][٢] مِنْ نفسه، فقال القُمِّي: فإنَّ أمير المؤمنين قد عفا عن ذنبه، وصفح عن جُرْمه، فأفاضَ الخِلَعَ عليه، وجمع بينه وبين أهله في [الصَّاغة في][٢] دار طاشْتِكِين بدار الخليفة.

وفيها قَدِمَ رسولُ جلال الدين حسن صاحب ألموت يخبر بأَنَّهم قد تبرؤوا من الباطنية، وبنوا الجوامع والمساجد، وأقيمت الجمعة والجماعات عندهم، وصاموا رمضان، فَسُرَّ الخليفةُ والنَّاسُ بذلك، وقدمت خاتون أم جلال الدين حاجَّة، فاحتفل لها الخليفة.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢١٣ـ٢١٤، و«تاريخ الإسلام» للذهبي: (وفيات سنة ٦٠٧هـ)، و«ذيل طبقات الحنابلة»: ٢/ ٦٢، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٣١.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها بعث الخليفة خاتمه إلى وجه السَّبع إلى الشَّام، وبعث معه العادل رسولاً، فأكرمه الخليفة، وولى وجه السبع الكوفة إقطاعاً.

وفي شعبان قدم أيدغمش من هَمَذَان إلى بغداد، وكان منكلي مملوك أزبك قد طرده من هَمَذَان، فاحتفل له الخليفة، وأخرج جميع أرباب الدولة للقائه، وأقام له الضِّيافات العظيمة.

وفيها أمر الخليفة أن يُقرأ «مسند أحمد ابن حنبل» ـ رحمة الله عليه ـ بمشهد موسى ابن جعفر بحضرة صفيِّ الدِّين محمد بن مَعَدّ الموسوي بالإجازة عن الخليفة، وأول ما قُرىء منه مسند أبي بكر الصِّدِّيق ـ رضوان الله عليه ـ وحديث فَدَك، وما جرى فيها.

وفيها قُبِضَ على أبي جعفر محمد بن النَّاعم؛ حاجب الباب، وظَهَرَ أَنَّه خان في الأموال، فاستؤصل، وضُرِبَ بالخشب إلى أن مات تحت الضَّرب، ورمي بدِجْلة، وكان شيخاً جَبَّاراً ظالماً، جبَّاهاً بالقبيح.

وحج بالنَّاس من العراق علاءُ الدين محمد بنُ ياقوت نيابةً عن أبيه، ومعه ابنُ أبي فراس يفقهه ويدبِّره، وفي الحج أُمُّ جلال الدين، وحَجَّ من الشَّام الصَّمصام أخو سياروخ على حَجِّ دمشق، ومن القدس الشُّجاع عليُّ بن السَّلَّار أميراً [على حج القدس][1]، وكانت ربيعة خاتون بنت أيوب أُخت صلاح الدين في الحج، فلما كان يوم النحر بمِنى بعدما رمى النَّاس الجمرة وَثَبَ الإسماعيلية على رجلٍ شريف من بني عم قتادة أشبه الناس به، وظنوه إياه، فقتلوه عند الجمرة، ويقال: إنَّ الذي قتله كان مع أُمِّ جلال الدين، وثار عبيد مكة والأشراف، وصَعِدُوا على الجبلين بمنى، وهلَّلوا، وكبَّروا، وضربوا النَّاس بالحجارة والمقاليع والنُّشَّاب، ونهبوا النَّاس يوم العيد والليلة واليوم الثاني، وقتل من الفريقين جماعة، فقال ابنُ أبي فراس لمحمد بن ياقوت: ارحلوا بنا إلى الزَّاهر منزلة الشَّاميين. فلما حصلت الأثقال على الجمال حَمَلَ قتادة أميرُ مكة والعبيد عليهم، فأخذوا الجميعَ إلا القليل، وقال قتادة: ما كان المقصود إلا أنا، والله لا أبقيتُ من حاجِّ العراق أحداً، [وكانت ربيعة خاتون بالزَّاهر، ومعها ابن

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

السلار، وأخو سياروخ، وحج الشام،][1] فجاء محمد بن ياقوت [أمير الحاج العراقي،][1] فدخل خيمة ربيعة خاتون مستجيراً بها، ومعه خاتون أُمُّ جلال الدين، فبعثت ربيعة [خاتون][1] ابن السَّلَّار إلى قتادة تقول: ما ذَنْبُ النَّاس، قد قتلت القاتل، وجعلتَ ذلك وسيلةً إلى نَهْبِ المسلمين، واستحللت الدِّماءَ في الشهر الحرام في الحرم والمال، وقد عَرَفْتَ مَنْ نحن، ومَنْ أولاد أخي، والله لئن لم تنته لأفعلنَّ ولأفعلن. فجاء إليه ابنُ السَّلَّار وخوَّفه، وقال: ارجع عن هذا وإلا قَصَدَك الخليفةُ من العراق، ونحن من الشَّام. فكفَّ عنهم، وطلب مئة [ألف دينار، فجمعوا له ثلاثين ألفاً من أمير الحاج العراقي، ومن][1] خاتون أُمِّ جلال الدين، وأقام النَّاس ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون بين قتيلٍ وجريحٍ، ومسلوب وجائع وعُرْيان، وقال قتادة: ما فعل هذا إلا الخليفة، ولئن عاد قرَّب أحد من بغداد إلى ها هنا لأقتلن الجميع.

ويقال: إنه أخذ من المال والمتاع وغيره ما قيمته ألفا ألف دينار، وأَذِنَ للنَّاس في الدخول إلى مكة، فدخل الأصحاء والأقوياء، فطافوا وأيّ طواف! ومعظمُ النَّاس ما دخل، ورحلوا إلى المدينة، ودخلوا بغداد على غايةٍ من الفقر والذُّلِّ والهَوَان، ولم ينتطح فيها عَنْزان.

وفيها توفي

الحسن بن محمد بن الحسن[2]

أبو سَعْد، تاج الدين ابن حَمْدُون، مصنف كتاب «التذكرة»[3].

قرأ اللغة على ابن العَصَّار، وولي المارَسْتان العَضُدي، وأُغري بجَمْعِ الكُتُب والخطوط المَنْسُوبة، وتوفي بمدائن كِسْرى، وحُمِلَ إلى مقابر قريش، فدفن بها، وكان فاضلاً، بارعاً.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ٩/ ١٨٤ـ١٨٩ ، و«الكامل»: ١٢/ ٢٩٩ ، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٢٠ـ٢٢١ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣١ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٣) كذا قال، وقد وهم في ذلك، والصحيح أن مصنف «التذكرة» هو والده محمد بن الحسن المتوفى سنة (٥٦٢هـ)، وقد حقق الكتاب الدكتور إحسان عباس، ونشرته دار صادر في بيروت سنة ١٩٩٦م.

شركس بن عبد الله الصَّلاحي[١]

ويقال [أياز شركس، ويقال:][٢] أيازجهاركس؛ يعني أنه اشتُري بأربع مئة دينار.

وكان من أُمراء صلاح الدين، شهد معه الغزوات كلها، كان منحرفاً عن الأفضل، وكان العادل قد أعطاه بانياس، وتبنين، وشقيف، وهُونين، وقلعة أبي الحسن، وتلك البلاد، فأقام بها، وكان يتردَّد إلى دمشق، فمرض، وتوفي في صفر، ودفن بقاسيون، وخلف ولداً، فأقرَّه العادل على ما كان لأبيه، وقام بأمره الأمير صارم الدين خُطْلُبا التِّبْنيني أحسنَ قيام، وسدَّ تلك الثغور، وقوَّم الأمور على أحسن نظام، واشترى [صارم الدين][٢] الكَفْر بوادي بردى، ووقَفَها على تُرْبة فخر الدين شركس، وعَمر له قُبة عظيمة على الجادة، [وقابل إحسانه إليه بالحسنى وزيادة][٢] وأقام صارم الدين [بالحصون][٢] إلى سنة خمس عشرة، وانتزعت منه.

عبد الواحد بن عبد الوهاب[٣]

ابن علي بن سُكَيْنة، ويلقب بالمعين.

ولد سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة، وسافر إلى الشَّام في أيام الأفضل، وبسط لسانه في الدَّوْلة، فأُرسل إليه من بغداد ابنُ التكريتي ليقتله، فوثَبَ عليه مراراً بدمشق، فلم يقدر عليه، فكتب إلى الخليفة كتاباً يتنصَّل فيه مما قيل عنه، ويعتذر، ويسأله العفو، فعفا عنه، وكتب له كتابَ أمانٍ، فقَدِمَ بغداد، فولاه مشيخة الشيوخ، وأُعطيَ رباط المشرعة، ثم بعثه بعد ذلك في رسالة إلى جزيرة كيش، ومعه جماعةٌ من الصُّوفية، فغَرِقَ في البحر ومَنْ معه.

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٣٧ـ٢٣٨ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣١-٢٣٢ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة» للمنذري ٢/ ٢٢٧ـ٢٢٨ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣٢، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

سمع جدَّه لأُمِّه شيخ الشيوخ عبد الرَّحيم وغيره، وأنشد لجدِّه عبد الرَّحيم: [من الوافر]

ولـم أَخْـضِـبْ مـشـيـبـي وهـو زَيْـنٌ لإيـثـاري جـهـالاتِ الـتَّـصـابـي
ولـكـن كـي يـرانـي مَـنْ أُعـادي فـأُرْهـبُـهُ بـوَثْـبـاتِ الـشَّـبـابِ

الشيخ عمر بن مسعود البزَّاز[١]

صحب سيدنا الشيخ عبد القادر الجِيْلي، وجماعةً من المشايخ، وبنى رباطاً عند جامع بلهيقا، وكان يتكلَّم في الحقيقة والطَّريقة كلاماً حسناً، سمع سعيد ابن البَنَّاء وغيره.

محمد بن النَّاعم كمال الدين[٢]

حاجب الباب.

كان حسنَ الصُّورة، قبيحَ الفِعال، صادَرَ جماعةً، وماتوا تحت الضَّرْب، فلما قُبِضَ عليه ضُرِبَ ضَرْباً مُبَرِّحاً، فلم يُقِرَّ بشيء، فمات تحت الضَّرب، فظهر له بعد ذلك أموالٌ عظيمة ودفائنُ كثيرة، ورُمِيَ به في دِجْلة كما كان يفعلُ بالنَّاس.

محمد بن يونُس[٣]

الملقَّب بالعماد، الفقيه المَوْصلي.

ولد سنة خمس وثلاثين وخمس مئة، وتفقَّه [على مذهب الشافعي][٤]، وانتهت إليه رياسة أصحاب الشَّافعي بالمَوْصل، وبُعث رسولاً إلى بغداد لما توفي نور الدين أتابك

(١) له ترجمة في «الكامل» ١٢/ ٢٩٩ ، و«التكملة» للمنذري ٢/ ٢٣١ـ٢٣٢ ، و«مشيخة النعال»: ١٤٥ـ١٤٦ ، و«المختصر المحتاج إليه» ٣/ ١١٠ ، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (وفيات سنة ٦٠٨هـ).

(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٣٦ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣٣ .

(٣) له ترجمة في «الكامل» لابن الأثير: ١٢/ ٢٥٨ ، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ٢٢٦ـ٢٢٧ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٢٣٣ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٩٨، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

رسلان شاه، وكان به وُسْواسٌ في الطَّهارة، يبعث كلَّ يومٍ غلامه إلى الجسر، فيقف وَسْط الشَّطِّ، ويملأُ الأباريق، فيتوضأ بها، وكان على ما قيل: يعامل الناس[١]، فالتقاه قضيبُ البان المولَّه يوماً، فقال له العماد: سلامٌ عليك يا أخي، كيف أنتَ يا أخي؟ فقال: أما أنا فبخير، بلى قد بلغني عنك أَنَّك تغسل أعضاءَك بأباريقِ ماءٍ كلّ يوم، فلم لا تشطف اللُّقْمة التي تأكلها! ففهم العمادُ قوله، فرجع عن ذلك، وكانت وفاته في رجب بالمَوْصِل.

مظفر التماشكي البغدادي[٢]

كان يقول «كان وكان»، [وهو أكثر أشعاره][٣]، ومن قوله في امرأةٍ عجوز:

مع الكبر ما يقلع ضرس الصبي من ضرسها ... وكل ضرس فيها من الكبر مقلوع

[وقد عزل ناظرها وقد غلقنا بابها ... وصار ذاك الراتب من جانبي مقطوع][٣]

قولوا لها لا تسألي الطبيب عن مرض الكبر ... ذي علة ضاع فيها علاج بختيشوع

وقال [في أخرى][٣]:

ذي زوجها ماشطها وكل من جاحفها ... قصده يرى النفس عنده في كفها ألوان

إن شندرت فلوجهه نصيب قبل كفوفها ... ما صح ذاك النشادر إلا من الدخان

وقال:

لها على الخد كوكب يسوى السماء بنجومها ... أنفع لها من أبوها وهي تسميه خال

ذا من خطاط الحاجب نقط فسمي خال ... ما كيف ألحقه بنسبها وهو من البغال

السنة التاسعة وست مئة

فيها خلع الخليفة على أَيْدُغْمُش الفَرَجية والعِمامة، وخِلَعاً تقارب خِلَع السَّلْطنة، وأعطاه مالاً، وأمره أن يبرز خيامه ليسير إلى هَمَذَان، وأعطاه الكوسات والأعلام.

---

(١) كأنه كان يتاجر بمال الناس، يوضح ذلك المعنى ما ورد ص٢٢٤ ، ٢٧١ من هذا الجزء.

(٢) لم أهتد إلى مظان ترجمته.

(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).